أعلام المدينة المعاصرين خلال مائة عام

الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله و صحبه وسلم تسليماً كثيراً. أما بعد :

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

أحمد الله تعالى أن وفقني وشرفني بالمجيء إلى هذا البلد المبارك ، و الحضور بين أيديكم مذكراً و ذاكراً لبعض أخبار علماء المدينة خلال آخر مائة عام.

سأذكر بإذن الله ﷻ بعض الأعلام و المعالم في هذا البلد المبارك.

في البداية أشكر الله ﷻ أولاً وآخراً ، ظاهراً و باطناً على هذه الجلسة و اللقاء ، و هذا المجلس المبارك ، و أشكر الشيخ حمد حفظه الله وبارك فيه على مثل هذه المجالس و هذه المرة الثالثة التي أحضر هنا ، في مرتين سابقتين مستمع و الآن لعلي مشارك.

هذه المحاضرة و إن كانت متشعبة و كثيرة ، و هي ليست محاضرة واحدة إنما هي سلسلة ليست مرتبطة بهذا المجلس الذي أسأل الله ﷻ أن يجعله مباركاً ، لكنها مقدمة بإذن الله ﷻ لعدة جلسات سواءً هنا ، أو في غير هذا المكان.

هذا البلد المبارك بلد شرفه الله ﷻ وجعله بعد مكة في الشرف ، و لا يخفاكم تفضيل الإمام مالك للمدينة على مكة ، و إن كان جمهور أهل العلم

يفضلون مكة على المدينة ، إلا أن لهذه المدينة المباركة فضائل ، و لها بركات و خيرات ، على ساكنها أفضل الصلاة و أزكى التسليم ، و ما أكثر الفضائل في كتاب الله و سنة رسوله ، و في السنة النبوية بالتحديد لهذه البلدة المباركة.

و مما يتمثل به في هذا من الأبيات المتعلقة بالراحة والطمأنينة و السكينة في هذه البلدة الطيبة :

جاشت النفس بالهموم و لكن سكنت عندمـــــا نزلنا المدينة
كيف لا تسكن النفس ارتياحاً عند من أنزلت عليه السكينة

اللهم صلي وسلم وبارك عليه.

كم ضمت هذه البلدة الطيبة المباركة من علماء ، و أدباء ، و مثقفين ، و تجار صالحين ، و من زهاد ، و عباد . لهذا رأيت من المناسب أن أتحدث عن هذه المدينة و ما فيها من أعلام ، فكم من أئمة و مدرسين في الحرم ، و مكتبات و مجالس و متفرقات خلال المائة عام الأخيرة .

و هذا من باب الوفاء لهؤلاء الرجال الأعلام الذين انتفعنا بهم و وصلنا الخير من طريقهم ، سبقونا للعلم و نشر الإسلام و الدعوة ، و نحن بإذن الله تعالى على خطاهم ، فمن باب الوفاء لهم و ذكر ما لهم من محاسن نتذاكرها الآن ، من باب المحبة لهم أيضاً في الله تعالى ، و التذكير بحقهم

علينا ، والدعاء لهم. نسأل الله أن يجمعنا و إياكم و إياهم جميعاً في الفردوس الأعلى.

و من باب تعريف هذا الجيل ، و حث أقاربهم و تلاميذهم على إخراج ما لم يعرف عنهم ، فبعض سير العلماء هي معلومات عامة ، مواقف عامة لا يعرفها عدد من الناس ، فلعل هذه تكون حثاً لبعض أقاربهم و تلاميذهم و من انتفع بهم أن يخرج بعض هذه المواقف ، و هذه المواقف كما قال الإمام أبو حنيفة رحمه الله : القصص جند من جنود الله.

فبعض الناس ربما لا يتأثر بالأوامر و النواهي ، و التعبير ، و الأمر و النهي عموماً ، وإن كان هو الأصل أن يتأثر به الشخص ، لكنه إذا ذكر له الموقف بالذات من أشخاص وشخصيات قد عرفهم أو كان معهم أو صلى خلفهم أو حضر دروسهم يكون التأثير أبلغ.

و أيضا أتكلم عن المائة عام الأخيرة ؛ لأن أكثر تراجم العلماء ترجمت للسابقين ، و إن شئت فانظر إلى الكامل لابن الأثير ، المنتظم لابن الجوزي ، البداية والنهاية لابن كثير ، سير أعلام النبلاء ، معرفة القراء الكبار ، تذكرة الحفاظ للذهبي، شذرات الذهب لابن العماد ، وغيرها من الكتب ، هؤلاء ترجموا لمن قبلنا ، لكن بالنسبة لمن كانوا في زمننا ربما التراجم قليلة ، و نحن بحاجة لبعض هذه القصص من باب التربية ؛ لأن التربية بالقدوة مهمة ، و نحن بحاجة لقدوات معاصرة أيضاً ، إذ لو تكلمت عن من سبق

لقال بعض الناس: أولئك آبائي فجئني بمثلهم ، و بعض الناس لو ذكر له ما أثر الصحابة ﷺ وفضائلهم و ذكرت لهم قصص عن التابعين لقيل: أن الزمان يختلف عن الزمان ، ولقال بعض الناس: أن أولئك لم تكن فتحت عليهم الدنيا انفتاحاً كحالنا ولم يفتنوا بالدنيا ، و الخير فيهم كثير ، "خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم" فهناك أسباب للكلام عن العلماء المعاصرين ، مما يجعل بعض الناس يسعى للخير إذا سمع بعض هذه المواقف ، و لو تكلمت عن من مضى لقال بعض الناس:

لا تعرضن بذكرنا في ذكرهم   ليس الصحيح إذا مشى كالمقعد

و أيضاً رفعاً للإحباط و التشاؤم ، و نشراً للتفاؤل ، و إظهاراً لنماذج رائعة للأمة . إذ لو كان الكلام عن من سبق لظن بعض الناس أن الخير انقطع ، و النبي ﷺ يقول : "الخير في أمتي إلى أن تقوم الساعة" .

و نأسف أن نرى الكثيرين من أهل العلم يموتون و لا يعرف عنهم ، و لا عن أخبارهم إلا القليل ، و كما قيل عن بعضهم:

قد كنت تدأب في التاريخ مجتهداً   حتى رايتك في التاريخ مكتوباً

بعض العلماء كتبوا التاريخ ، لكن لما مات لم يكتب تاريخه ، مثل : الشيخ عبد الله البسام رحمه الله ، خمسون سنة وهو يدرس في المسجد الحرام و من كبار القضاة و كبار العلماء ، وعضو هيئة كبار العلماء و يتميز بأمور عدة منها : ترجمته لعلماء نجد و من عاش فيها ، و من خرج منها ، و من مر بها ،

حتى الشيخ محمد أمين الشنقيطي – أحد علماء الزبير – كان قد قدم من بلاده ، فخرج من العراق ومر بنجد ، وتتلمذ عليه الشيخ عبد الرحمن السعدي وغيره من العلماء ، فترجم له . و قد ترجم لتسعمائة عالم ، و لكنه لما مات لم يذكر عنه فيما أعلم ترجمة حتى الآن.

كذلك الشيخ صالح بن عبد العزيز العثيمين أحد كبار العلماء و شهرته قديمة جداً في الحرمين الشريفين ، و هو محقق أو مخرج كتاب تسهيل السابلة لمريد معرفة الحنابلة ، و هو من كبار العلماء أيضاً ، مات و لا يعرف عنه إلا القليل مع أنه رحل إلى عدة بلاد لطلب العلم ، و اشتهر بتحقيق الكتب و مذهب الحنابلة بالتحديد ، وهو أديب ومؤرخ و محقق للكتب.

هذان النموذجان المعاصران لشخصين لم يكتب عنهما الكثير ، كتبوا الكثير و لم يكتب عنهم شيء ، أو ربما كتب عنهم القليل.

و نأسف أيضاً أننا إذا مات فينا عالم نسي ، كما قيل :

كأن لم يكن بين المروة والصفا أنيس و لم يسمر بمكة سامرُ

و هذه الكلمة أو المقدمة دعوة لأقارب و تلاميذ المشايخ أن يسجلوا الذكريات ، وأن يكتبوا المواقف و يخرجوها.

أذكر لكم نموذجاً من نماذج العلماء المعاصرين ، عالم رحالة أديب فقيه

صاحب مؤلفات و رحلات ، هو الشيخ محمد بن ناصر العبودي حفظه الله وبارك فيه ، فمما تميز به أنه يكتب كل شيء : المذكرات اليومية يكتبها الشيخ إذا سافر ، سافر في إحدى سفراته أربعة أشهر ، و كان معه الشيخ عمر فلاته و الشيخ أبو بكر الجزائري ، الشيخ عمر توفي رحمه الله غير الشيخ عمر الموجود الآن ، و الشيخ أبو بكر الجزائري أحسن الله لنا و له الختام ، جلسوا مع الشيخ العبودي في أفريقيا مرة أربعة أشهر ، كان يكتب كل شيء ، و في رحلة أخرى ذهب سبعة أشهر لم ينقطع عن الكتابة يوماً ، يكتب كل الذكريات.

و الشيخ العبودي له ذكريات و هو طفل أسماها (مذكرات طفل) أوصى بها أن تخرج بعد وفاته ؛ لأنه يرى أنها لا تليق يعنى صغير ، هذا من الأمور المتعلقة بالشيخ حفظه الله.

فأحث الإخوة أن كل شخص يكتب مذكراته اليومية مما قابل من العلماء و المثقفين و الأدباء و الوجهاء و التجار و من لهم شأن ، يكتب عن هؤلاء.

كنا ذات مرة في مجلس مع الشيخ عبد الله بن عقيل وهو رئيس مجلس القضاء الأعلى وهو ممن يدير مكتب سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم رحمهم الله ، و لما انتهينا من الجلسة قال الذي استضافنا : أن الشيخ سأل عن الحضور واحداً واحداً ، والشيخ كان قد قارب التسعين .

و يقول مضيفنا : الشيخ طريقته أن أي مجلس يجلسه إذا انتهى يذهب لبيته و يكتب : جلست اليوم الفلاني عند فلان ، و يكتب الأشخاص ، جلس معي فلان و فلان . هذه من طرق هؤلاء العلماء و الحفاظ ، و هذه النماذج مفيدة حتى يزول العجب و الكبر من القلب.

إذا رأى الشخص نماذج هؤلاء العلماء و العباد و الصالحين و الزهاد و التجار الذين يبذلون للخير الكثير ، و بعض الناس يبذل المال ، و يظهر أنه لم يعطِ شيئاً أريحيةً من عنده ، و من أراد أن يزيل العجب من قلبه لو أن الشخص افتخر بعلم شرعي أو بحفظه ، فليستمع فقط لمحاضرة واحدة أو جزء من محاضرة للشيخ العلامة محمد الأمين الشنقيطي رحمه الله صاحب أضواء البيان ، تسمع السيل الهادر و الكلام الذي يقوله من حفظه ، و كان يحضر عنده الشيخ الألباني في المسجد النبوي ، و قد فسر القرآن مرتين ، و مات في الثالثة ، غير (أضواء البيان) الذي كتبه بيده ، و مات بعد نهاية قول الله ﷻ: ﴿أُوْلَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [المجادلة:٢٢].

ففسر القرآن في المسجد النبوي مرتين ، و مات في الثالثة ، كان يحضر عنده الشيخ عبدالعزيز بن باز ، و هو رئيس الجامعة ، و الشيخ الألباني ، و الشيخ محمد أمين المصري ، من أكابر علماء الشام ممن أسسوا الجامعة و مناهجها.

فلو استمعت لمحاضرة للشيخ محمد الأمين ستدرك ما أعنيه ، حتى أن الشيخ رحمه الله كان إذا سمع كلامه بعد نهاية الدرس يقول : لو لم أسمع صوتي ما صدقت أن هذا الكلام خرج مني ؛ لأنه يفتح عليه فتوحات في درسه أو في محاضرته في الحرم شيء لا يشعر به هو ، و هذا هو فتح من الله ﷻ وهو الفتاح العليم.

و قد ألقى إحدى المحاضرات بطلب من ملك المغرب في المسجد النبوي ، و الترجمة مناسبة أن نذكر المواقف الوعظية ، و أن نأخذ الدروس منها ، فليس المهم هو قضاء الوقت في ذكر فلان عاش في تاريخ كذا ، و مات عام كذا ، هذه أشياء موجودة في كتب التاريخ ، لكن المهم هو الموقف ، موقف الشخص مع أبنائه ، و زملاؤه ، مع والديه ، مع تلاميذه ، مع جيرانه ، مع أقاربه ، مع من ينتفع به ، و مما أنبه عليه في المقدمات أنه لا يقاس علم الشخص لا بمؤلفاته ، و لا بشهرته ، و لا بكثرة الطلاب حوله.

فالليث بن سعد رحمه الله من أكابر العلماء ، يقول الإمام الشافعي عن الليث بن سعد : هو أعلم من مالك.

الإمام مالك ، لو سألت أي شخص في الدنيا من المسلمين لسمى لك الأئمة الأربعة ، ويقول الإمام الشافعي : إذا ذكر العلماء فمالك النجم ، و النجومية عند العلماء ، و مع ذلك قال الإمام الشافعي الذي سبر الرجال و عرفهم ، و عنده فراسة ، و ذكاء ، و علم ، حتى قال الإمام أحمد : ما زال

أهل الحديث نياماً في العراق ، حتى جاءهم الشافعي.

فيقول الإمام الشافعي عن الليث بن سعد : هو أعلم من مالك ، إلا أنه لم يقم به أصحابه. و ذلك أن بيئة الليث بن سعد في مصر بخلاف بيئة مالك في المدينة ، فهي محط أنظار العلماء ، و وجود العلماء ، و الذين يأتون للحج و العمرة و الزيارة و طلب العلم ، و لذلك الإمام مالك ما خرج من المدينة .

و جاء في الحديث عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يوشك أن يضرب الناس آباط المطي في طلب العلم فلا يجدون عالما أعلم من عالم المدينة.

وقد ورد هذا الحديث عند بعض أهل السنن ، و قال بعض أهل العلم : أن المقصود به الإمام مالك رحمه الله ، فليست العبرة لا بكثرة المؤلفات ، و لا بالشهرة ، و لا التفاف الطلاب ، فبعض العلماء حتى من المعاصرين و ربما أدركتم بعضهم من كبار العلماء في المسجد النبوي ممن يدرس ليس عنده إلا العدد القليل لكنه ملأ الدنيا علماً ، و كما قيل : أزهد الناس بالعالم جيرانه . و كما قالوا أيضاً: مت تعظم . فيعظم الشخص إذا مات.

أسباب قلة التراجم

عدم تقييد العالم ذكرياته ، هذه كما قلت إضاءة عامة و إلماحات ، و معالم

لعلها تضيء الطريق لمن أراد أن يكتب في مثل هذه المواضيع ، أو يطلب من أهل العلم أن يكتبوا بعض مذكراتهم.

و من الأسباب : عدم تقييد العالم ذكرياته ، أو أنه لم يُسأل عنها من قبل ، و بعضهم إذا سُئل لا يتحدث عن نفسه ، و لا يرضى بذلك ، و لا يتكلم عن علمه و محفوظاته و دروسه عند من حضر ، هذه من أسباب قلة التراجم.

لماذا أعلام المدينة بالتحديد؟

لأني في البلد المبارك و ألبس لكل حالة لبوسها ، فليس من المناسب أن أتكلم عن المدينة في مكان بعيد ، و الأنسب أن أتكلم عن المدينة في المدينة ، و أن أتكلم عن أحكام الحج في موسم الحج ؛ فلهذا السبب اخترت هذا العنوان (من أعلام المدينة) ، و لأن هذه البلدة هي محط أنظار المسلمين بعد مكة ، و لكثرة الوافدين عليها ، و وجود المذاهب الأربعة ، و وجود الجنسيات المختلفة ، و لأن الله تعالى جمع عدداً من الناس من مختلف الأقطار و البلدان ، و الألوان و الأجناس ، و المذاهب اجتمعوا في هذه البلدة الطيبة المباركة ، ربما يبقى فيها الشخص لا يغادرها ، و يطلب العلم فيها وقتاً طويلاً.

ما المقصود بالأعلام ؟

سأتكلم عن كل من تولى ، أو دخل في شرط من تولى الإمامة في المسجد النبوي ، أو درس في المسجد النبوي ، و لو كان من غير أهلها ، و ما أكثرهم.

و بعض الناس يظن أن المذهب أحادي لا يلقى إلا مذهب الحنابلة في مكة والمدينة من قيام هذه الدولة –نسأل الله أن يعزها بالإسلام– ، و هذا كلام جاء في ربما بعض المجالس ، أو وسائل الإعلام ، و هذا كلام عار عن الصحة ، فالمذاهب الأربعة ، و أقوال العلماء موجودة ، و حتى من غير أهل هذه البلاد . علماء من عدة بلاد يدرسون في المسجدين الشريفين ، و ربما أذكر شيئاً من أخبارهم.

فكل من تولى الإمامة ، أو التدريس الطويل ، أو خرج الطلاب ، أو كان له أمر مهم من تجارة ، أو وقف ، وله أثر بالغ في هذه البلدة الطيبة ، فهذا يدعونا أن نذكرهم و ننشر علمهم. فاللهم :

أمنن علي بفضل منك يعصمني   من كل سـوء فإني عاجز واهي

والنقـص في أمر الطبيعة كامن   فبنو الخليقة نقصهم لا ينكـــر

أشرع في الكلام حول رحلة كتبها الشيخ محمد بن ناصر العبودي من بريدة إلى المدينة قبل ستين عاماً ، أذكر لكم إلماحات من هذه الرحلة ، و لن أذكر خروجه من بريدة.

لما زاروا الشيخ عبد الرحمن السعدي و أفطروا معه في رمضان ، ثم أقبل على المدينة ، قال : لقد انتابني شعور عجيب .

ذلك عندما قال السائق: الآن قدمنا ، هذه جبال المدينة . يقول : شعور أول مرة يمر علي .

وكان قد أتى على المدينة عام ١٣٧٢ هـ ، و لفت انتباه الشيخ محمد بن ناصر العبودي عدة أمور في هذه الرحلة منها :

نظافة المدينة وطرقاتها عام ١٣٧١ هـ مقارنة بنجد .

كذلك يقول : اعتناء المشايخ بلباسهم ، و أنهم يهتمون بالدنيا ، و يعرفون الواقع . ويظهر أن هذا بسبب اختلاطهم بباقي أهل البلدان القادمين إلى المدينة.

و يقول : أنهم يستمعون إلى الراديو ، ويعرفون الواقع ، ويثني على الشيخين إمامي المسجد النبوي : الشيخ عبد الله بن محمد بن زاحم ، و الشيخ عبد العزيز بن صالح . فيقول : حمدت الله تعالى أن الله تعالى رزق المسجد النبوي مثل هذين العلمين ، و له كتاب خاص بسيرة الشيخ عبد العزيز بن صالح.

كذلك يقول : الإحساس بالشعور ، أو الشعور بالطمأنينة العجيبة في المدينة ، و قد كرر هذا الشعور في أكثر من موضع في كتابه. قال : و أهل المدينة أخلاقهم سهلة لينة . هكذا قال الشيخ ، ولم يقل ذلك و هو بين أهل المدينة ، إنما رقم ذلك في كتاب ألفه من باب الذكريات كان قد جمعها ، و أخرج الكتاب ١٤٣٠هـ ، يقول : أخلاقهم سهلة لينة .

و الحمد لله ، الواقع شهد بذلك ، و ألسنتهم عفيفة لا تسمع السب و لا الشتم ، و كان قد أتى الشيخ في العشر الأواخر أدرك تقريباً آخر خمسة أيام من رمضان ، ثم ذكر العجب ليلة ختم القرآن بصوت الشيخ عبدالعزيز بن صالح ، يقول : فما سمعنا إلا باكياً ، و أناس لهم نحيب بفراق رمضان ، و بختمة الشيخ ابن صالح رحمه الله.

ثم تكلم عن خطبة العيد للشيخ ابن صالح ، قال : أنه يقول : الله أكبر ، الله أكبر ، هي عبارات ننطقها ، لكن ينطقها الشيخ و تخرج منه أبكى الناس بها .

و من أدرك الشيخ رحمه الله بخطبه علم ذلك ، أنا صليت معه مرة واحدة لما كنت صغيراً ، و خطب الشيخ موجودة ، و إن كان بعض الناس قد يقول عن الشيخ بن صالح من ناحية صفاء صوته و حُسنه و تأثر العلماء به ، قد أثنى عليه الشيخ عبد الفتاح قارئ ، والد الشيخ

عبد العزيز ، أثنى عليه الشيخ عبد الفتاح القاضي ، أثنى عليه الشيخ علي الطنطاوي ، الشيخ على الطنطاوي دقيق جدًا في مدح الرجال ونقضهم ، و عدد من أهل العلم أثنوا على الشيخ بن صالح ، لكن لا نحكم على الشيخ في آخر عمره لما جاوز السبعين ، نتكلم عن الشيخ في أيام شبابه ، كما أثنى الشيخ العبودي على عدد من أهل العلم منهم : سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز لما كان يتلو القرآن ، أو لما كان إماماً في الجامع الكبير في الرياض ، و الشيخ مجاز بالقراءات ، أو بقراءة حفص أعني الشيخ ابن باز – رحم الله الجميع –.

فما نحكم على الشيخ ابن صالح في آخر عمره ، و إن كانت العبرة ليس بنقص البدايات ، إنما بكمال النهايات.

مروا على بئر قرب أحد و هي منذ زمن معاوية رضي الله عنه ، يؤخذ منها الماء و لا ينقطع ، لكنها انقطعت الآن ، كما يقول الشيخ : أدركنا أيضاً آباراً قد انقطعت ، و تكلم عن بعض الأماكن ، يقول : كيف الآن الشعراء يتغزلون بمثل هذه المواضع التي ليس فيها إلا حجارة سود. وقد تكرر هذا الأمر عند المؤرخين.

يقول : فالله أعلم ، أن المدينة كما هو معلوم ، وادي العقيق ، مشهور بقصر عروة ، و كان الناس يخرجون إليه منتجعاً شتائياً و ربيعياً . و من جاء للمدينة يخرج إليه ، فالظاهر أنها مرت على المدينة فترة مليئة

بالزروع و الثمار ، حتى أن الحافظ ابن حجر في الفتح يقول : جلس أبو محمد الجويني ، والد أبو المعالي الجويني صاحب الورقات ، جلس مع أمير المدينة فتذاكروا – هذا عام ٥٠٠ هـ ، أو ربما قبل- يقول : فتذاكروا أمور المدينة فعدوا خمسين نوعاً من تمور المدينة.

ثم تحدث الشيخ عن توليه نيابة رئيس الجامعة ، و الخطط الدعوية و العلمية التي وضعت لإرسال البعثات الدعوية ، و استقطاب الطلاب من هناك ، فالشيخ محمد بن ناصر العبودي هو من وضع الخطط ، و سافر على رأس البعثة ، فاختار معه الشيخين أبو بكر الجزائري و عمر فلاته.

استمرت الرحلة أربعة أشهر زاروا خلالها اثنا عشرة دولة ، و عن هذه الزيارة ألف كتاب (في أفريقيا الخضراء) ، أول كتب الشيخ العبودي التي تتحدث عن الرحلات ، ثم تبعه ١٧١ كتاباً. يقول الشيخ : و قد بلغت كتبي للرحلات ١٧١ كتاباً إلى عام ١٤٣٠هـ .

الرحلات بدأت من عام ١٣٨٢ أو ١٣٨٣ هـ تقريباً ، بعدها طاف الدنيا بهذه الرحلات. فكانت فاتحة رحلاته رحمه الله لأفريقيا ، اثنا عشرة دولة بدأها بالسودان ، ثم ما حولها من الدول.

لما عادوا من رحلتهم جمع التقرير اليومي في ملف ، و أعطاه لسماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز رحمه الله ، ذلك أن الشيخ قرر انتداب خمسين

عضواً من الدعاة على نفقة الجامعة ، و هذه بعض الأمور المتعلقة برحلة الشيخ.

مكتبات المدينة المنورة

هذه البلدة المباركة فيها عدد من المكتبات يعرفها قاصدي العلم ، و حتى غير قاصدي العلم. فالمدينة مشهورة بمكتباتها القديمة.

فمن المكتبات القديمة : مكتبة عارف حكمت ، و المحمودية ، و مكتبة الفاروقي . هذه التي في زمن ليس بالبعيد ، و إن كان أقدمها عارف حكمت ، و هو من آل البيت ، من تركيا ، و كان قاضياً في بيت المقدس ، و في مصر ، و المدينة ، و كانت له خزانة كبيرة ، فوضعها مكتبة ، و كانت إلى وقت ليس بالبعيد موجودة ، فضمت هذه المكتبات جميعاً الآن إلى مكتبة الملك عبد العزيز ، و الآن بعد إقرار الإزالة ، كان من ضمن الإزالة هذه المكتبة ، فجمعت هذه المكتبات في كراتين ، و نقلت إلى المستودعات. نوادر و مخطوطات ، و شيء ربما لا يوجد متاحاً ، بل يوجد مكتبات ، أو كتب و مخطوطات و نوادر يذكرها بعض الباحثين لا توجد إلا في مكتبة المسجد النبوي ، و هي بلا شك مهمة ، وعمدة في المكتبات العالمية ؛ لكثرة الإهداءات الواردة إليها.

فكتب لا توجد إلا في المدينة ، و لكن هذا حال التعامل مع الكتب. فوضعت هذه النوادر في كراتين حتى تنقل للمقر الجديد ، نسأل الله أن يعجل به.

جهود في المدينة

من الجهود في المدينة إزالة النخلة ، و البئر ، و كانا في الحصوة في المسجد النبوي ؛ لأن الناس كانوا يتبركون بالبئر ، و يتمسحون بالنخلة.

فالشيخ تقي الدين الهلالي المغربي لما جاء مشرفاً على الدروس في المسجد النبوي ، و مدرساً في الجامعة الإسلامية ، طلب من أمير المدينة أن يزيل هذه النخلة و البئر ، فأزيلت ، و هذه من الجهود.

الشيخ سليمان بن حمدان رحمه الله

من قضاة المدينة ، كانت قصيدة البوصيري (البردة) داخل الحجرة النبوية ، و الشيخ بما أنه قاضي المدينة ، و لا تفتح الحجرة ؛ لأن الشيخ عبد الله بن سليمان بن حميد ، و هو أحد القضاة من القصيم ، كان في الجنوب ، و كان مع العبودي في رحلته ، يقول : طلب من الشيخ عبد الله بن محمد بن زاحم أن يفتح لهم الحجرة ، قال : لا ، لا تفتح إلا

للملوك ، فدخل الشيخ سليمان بن حمدان الحجرة ، و وجد (البردة) في بعض جدار الحجرة مما وضع قديماً ، و الأبيات التي فيها إشكالات ، بل فيها قدح في العقيدة ، و هي دعاء النبي ﷺ حيث قال صاحب المنظومة يخاطب النبي ﷺ :

يا أكرم الخلق مالي من ألوذ به   سواك عند حصول الحادث العمم

فإن من جودك الدنيا و ضرتها   ومن علومك علم اللوح والقلم

نعوذ بالله ، يعني بذلك : أن من جوده ﷺ الدنيا و الآخرة. فالشيخ سليمان بن حمدان حكها رحمه الله .

الشيخ عبد الله بن عبد الوهاب بن زاحم

عم الشيخ عبد الله بن محمد بن زاحم ، و الشيخ عبد الله بن محمد توفي عام ١٤١٧هـ ، فعمه الشيخ عبد الله بن عبد الوهاب بن زاحم كان من قضاة الرياض ، و هو الذي جاء بتلميذه الشيخ عبدالعزيز بن صالح مرافقاً له و قاضياً ، و رشحه للإمامة في المسجد النبوي ، سعى في زمن الملك عبد العزيز مباشرة ١٣٧٤ هـ ، فكتب للحكومة أن يزال بعض الزخارف الموجودة في المسجد النبوي ، فتمت الأمور واستمرت ، ثم وجدوا معارضات ، فتركوا الوضع ، حتى لا يسبب تشويشاً .

و أمر الملك عبد العزيز بإزالة الأضرحة والأبنية على البقيع ، هذا كان

في عام ١٣٤٤هـ ، و هذه من الجهود التي في المدينة من علمائها ، أو من مسؤوليها.

عبد الله بن سليمان بن بليهد

كان قد أرسل الملك عبد العزيز لأهل المدينة الشيخ عبد الله بن سليمان بن بليهد ، و هو أحد القضاة من الرياض ، وكان قاضياً في حائل ، ثم كان يتنقل بين مكة و المدينة ، و هو من كبار القضاة ، فأرسله لعلماء المدينة ، فناقشهم في قضية القبور ، ولله الحمد بالاتفاق كما يذكر المؤرخون ممن ذكر هذه المواقف من أهل المدينة و غيرهم أن الشيخ ألفا هاشم – و اسمه محمد هاشم الفوتي –، و الشيخ عمر بري ، و عدد من أهل العلم ، و الشيخ محمد بن علي بن تركي ، و جميع أهل هذه المذاهب ، المذاهب الأربعة الفقهية المعتبرة ، و هؤلاء العلماء ، و المحدثون كلهم اتفقوا على إزالتها ، و لم يتحرك إلا الرافضة من العراق و إيران ، و شوشوا على هؤلاء العلماء ، لكن خرج بيان من جميع علماء المدينة ، و هو موجود في بعض الكتب ، بيان فيه جميع علماء المدينة بالاتفاق أتوا بالآيات و الأحاديث عن عدم تعظيم القبور ، و لا عبادتها ، و لا الطواف بها ، كما هو الموجود في الأحاديث ، في السنة النبوية المطهرة ، فأزيلت و لله الحمد بلا تعكر، و هذه فائدة وجود

العلماء في بعض هذه الأمور.

الشيخ إحسان إلهي ظهير

الشيخ إحسان إلهي ظهير ، و إن كان ليس من أهل البلاد ، لكنه درس في الجامعة الإسلامية ، و كان الأول على دفعته ، و له عدة رسائل جامعية ، و عدة شهادات ، وهو هندي الأصل ، و كان إذا مر بالبقيع ، أو دخله قال : اللهم هنا ، اللهم هنا.

فكان في مؤتمر لأهل السنة في باكستان ، فحدث تفجير في المؤتمر ، و جرح الشيخ جرحاً شديداً ، و أسعف للمملكة بطلب من الشيخ ابن باز ، فمات في الطائرة أو حين وصوله للمملكة ، فصلي عليه في الجامع الكبير في الرياض ، و دفن بالبقيع.

(اللهم هنا) ، صدق الله ، فصدقه الله.

و تعلمون أنتم أهل المدينة ، لا يحمل التمر إلى هجر ، و لا يحمل التمر إلى أهل المدينة ، فتعرفون أنتم شرف البقيع ، و شرف الموت بالمدينة.

الشيخ إبراهيم العياشي

مؤرخ أديب ، مهتم بآثار و تاريخ المدينة ، رسم المدينة و ما فيها من غزوات و بيوتات للأنصار و المهاجرين ، و المواقف في السيرة النبوية بناء على السيرة ، ثم أخرجها. و قد تتلمذ عليه الشيخ عبد العزيز القارئ حفظه الله ، و الشيخ عبد العزيز كنز من كنوز التاريخ و الأدب و العلم ، لو كان فيه نشاط ، نسأل الله أن يحسن لنا و له الختام.

و الشيخ قد رتب له في برنامج (صفحات من حياتي) أو (تاريخ المدينة) ، و لم ينشرح صدره لهذا. نسأل الله أن يعوضنا عن التاريخ الذي مع الشيخ والمواقف والقصص التي تذكر، فمن مجالس المدينة التي سأذكرها مجلس إذا كان فيها الشيخ عبد الله بن عسيلان والشيخ عبد العزيز القارئ والشيخ حماد الأنصاري وعدد من الأدباء والمثقفين فهو من جنه الدنيا ، اللي جلس منكم أو جالس الشيخ عبد العزيز القارئ وقت نشاطه وهو يذكر القصص و المواقف ، يعنى بعض العلماء أحد الرواة من المحدثين يسمى السكري لحلاوة منطقه و لفظه ، فأنا أعتبر الشيخ بالنسبة لي السكري ؛ لكلامه ، وحسن نطقه حفظه الله.

فيقولون: إذا اجتمع هؤلاء : الشيخ حماد الأنصاري ، عبد العزيز القارئ ، العسيلاني ، الشيخ محمد العيد الخطرواي رحم الله من مات ،

فهي من مجالس الجنة ، لكنها في الدنيا ، كما قال الشاعر :

مجالسهم مثل الرياض أنيقة لقد   طاب منها الريح واللون والطعم

الجامعة الإسلامية

بدأت عام ١٣٨٢هـ ، الأصل الحديث عن المكتبات ، لكن حتى نعرف الارتباط الوثيق بين المكتبات و العلماء ، بين الجامعات و العلماء ، بين المجالس و المنتديات ، و المجالس الثقافية و العلماء .

فتولى رئاسة الجامعة الشيخ ابن باز ، و الرئيس الشرفي من غير حضور الشيخ محمد بن إبراهيم .

أسست في وقت ابن ابراهيم ، و الرئيس الفعلي لها الشيخ ابن باز ، و تم الافتتاح ، و رئيسها الشيخ ابن باز منذ عام ١٣٨١هـ ، حتى انتقل منها ١٣٩٥ هـ ، و استقطب لها عدة علماء من شتى البلاد ، و لم يقتصر أبداً على علماء نجد ، و لا الحنابلة ، و لا معارفه و طلابه ، بل كان الشيخ ابن زاحم ، و الشيخ ابن باز يكتب لهم الملك سعود رحم الله الجميع ، و الملك سعود يحب الشناقطة جداً ، يقول : إذا رأيتم أحد علماء الشناقطة جاء ابحثوا عنهم في المدينة ، إذا جاء فأكرموه ، و أجلسوه ، و اجعلوه يدرس. هذا في زمن الملك سعود ، و هذه الحمد

لله وصية عدد من الأمراء ، و طريقة العلماء.

و الشيخ ابن إبراهيم كان يعرف بالإكرام البالغ للعلماء ، و الشيخ ابن باز كذلك ، الشيخ بن باز ربما جالسه بعضكم وقت وجود العلماء.

مثال واحد للشيخ ابن باز : زاره الشيح محمد الغزالي رحمه الله ، الداعية العالم المصري ، زاره في مجلسه ، و كان الشيخ محمد الغزالي مشغول مع بعض المسئولين بعد لقاء الشيخ ، فحضر الشيخ ابن باز ، و استقبل الشيخ محمد الغزالي عند السيارة ، و مشى معه إلى المجلس ، و أجلسه.

و بعد نهاية الجلسة كان الحضور المرافقون مع الشيخ محمد الغزالي يتعجلونه بشيء ما ، حتى يخف عن المجلس ثم يدركون موعدهم الآخر ، فلما ذهب ، و وصل لموعده قالوا : أين يا شيخ ، تأخرت على الموعد ؟ قال : كنت في عالم ثاني ، كنت مع صحابي لم يرَ الرسول ﷺ ، هذا كلام الشيخ محمد الغزالي عن الشيخ ابن باز ، فإكرام الشيخ للعلماء ، الشيخ ابن إبراهيم ، و الشيخ ابن زاحم ، و الشيخ ابن صالح ، و عدد من أهل العلم عام ، وليس خاصاً بهذه البلد ؛ لأنه للأسف يوجد دعوات سيئة فيها شيء من العصبية و المناطقية ، و الإقليمية و المذهبية ، أن العلماء عملهم و اهتمامهم خاص فقط بتلاميذهم ممن تتلمذ عليهم ، و من أتى إليهم ، و من كان من بلده أو قبيلته أو من أهل نجد ، كل هذا ليس بصحيح ، و أنتم أهل المدينة تعرفون كم هي

الدروس ، و كم هم المدرسون من أهل الحجاز و غير أهل الحجاز في المسجد النبوي ، و الأئمة كذلك ، فاستقطب الشيخ لها عدد من العلماء و كاتب الملك سعود بذلك ، فأيده الملك سعود في استقطاب عدد من العلماء ، و عدد كبير من أهل العلم درسوا فيها ، و بعضهم ليس عنده شهادات جامعية ، لكن لشهرته و علمه ، كان الشيخ ابن باز يطلب من الشيخ ابن إبراهيم ، ثم من الملك سعود الموافقة على فلان و فلان ، ثم يدرسون بلا شهادات جامعية من العلماء الكبار.

و تأسس المجلس الاستشاري من الشيخ ابن باز برئاسته ، و أعضاء المجلس هم : الشيخ أبو الأعلى المودودي ، و هو من علماء باكستان ، و الشيخ أبو الحسن الندوي الحسني ، و الشيخ حسن المخلوف مفتي الأزهر ، هؤلاء هم أعضاء المجلس الاستشاري للجامعة الإسلامية عند أول تأسيسها ، من كل بلد أخذوا عالماً فأكثر ، من علماء إندونيسيا ، و من علماء باكستان ، من علماء مصر ، ومن علماء الشام ، كلهم في المجلس التابع لتأسيس الجامعة الإسلامية.

ثم أسسوا الكليات و المعاهد التابعة في أوقات متسارعة : كلية الشريعة وأصول الدين، ثم كلية القرآن ولها قصة.

كلية القرآن ، في لقاء من اللقاءات مع الشيخ عبد العزيز القارئ حفظه الله ، رتب مع أحد الطلاب ، طلاب القراءات أن يقرأ بقراءة ليست

بقراءة حفص ، فأثناء القراءة الشيخ ابن باز رد على الطالب ظناً منه أنه أخطأ ، طالب و لا يدري أنه متقن للقراءة بغير قراءة حفص ، فلما انتهوا من اللقاء ، قال الشيخ عبد العزيز القارئ للشيخ ابن باز : لو أننا فتحنا يا شيخ كلية القرآن ؛ لأجل نشر هذه القراءات ، فسعى لها الشيخ ، و فتحت كلية القرآن ، و كلية اللغة و الدراسات العليا ، و كلية الحديث و القراءات ، هذه كلها في زمن الشيخ ابن باز رحمه الله في تأسيس الكلية.

من المواقف التي مرت بالشيخ ، لما أرادوا إقرار المنهج للطلاب في مادة آداب البحث و المناظرة ، و هي في الجدل المنطقي ، و تنفع في أصول الفقه . و المناظرات كان قد تحمس لها الشيخ محمد الأمين الشنقيطي صاحب (أضواء البيان) ، و هو مجدد أصول الفقه رحمه الله في هذا العصر ؛ لشهرته و لعلمه ، و لانتشار أمره في المسجد النبوي و غيره ، فطلب من الشيخ أن يقرروا تدريس هذه المادة ؛ لأنها مهمة جداً لطلاب علم (أصول الفقه) ، و ليواجهوا الناس ، و عندهم مناظرات و ردود. فقال الشيخ ابن باز : لو أني عرفت ما هو هذا العلم منك يا شيخ ، فقال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي : أنا آتي إليك في بيتك يا شيخ.

ثم يأتي الشيخ محمد الأمين الشنقيطي إلى بيت الشيخ ابن باز رئيس

الجامعة ليشرح له نبذه عن هذا العلم ، فقال الشيخ ابن باز : لا ، بل العلم يؤتى إليه. أنا آتيك إلى بيتك.

فأتى إلى بيته ، وأخذ عنه هذا العلم ، فأقر هذا ، لكن لا أدري هل المادة ما زالت موجودة أم لا ؟

العصر الذهبي

العصر الذهبي الذي لا ينسى ، كما يقول الشيخ عبد الرحمن عبد الخالق أحد علماء الكويت ؛ لأنه من أوائل الدفعات التي تخرجت من الجامعة الإسلامية.

الشيخ عبد الرحمن عبد الخالق ، و هو ما زال موجود شيخ الكويت ، يقول : ما أظن مر بي ، و لا بالجامعة الإسلامية عصر زاهٍ مثل ذلك الوقت في تأسيس الجامعة ؛ لأن الجامعة فيها الشيخ ابن باز ، و الشيخ الألباني ، و الشيخ محمد أمين المصري ، و الشيخ محمد الأمين الشنقيطي ، و تقي الدين الهلالي ، و من أتى من العلماء يستضاف ، وكانت تقام ندوة أسبوعية يقيمها الشيخ ابن باز لعلماء المدينة ، كمثل هذا المجلس المبارك إن شاء الله ، يستضيف الشيخ مشايخ ، ثم كل منهم يتكلم بموضوع ، ثم يعقب الشيخ على ما يقوله الضيف.

ألقى مرة الشيخ الألباني تعريفاً بعلم الحديث في مجلس يضم أيضاً عدداً

من العلماء من غير التخصص في الحديث يتكلم عن تخصصه ، حتى ظن الحضور أنه لن يتكلم أحد بعد الألباني لضبطه لهذا الفن ، و هذا العلم. فقام الشيخ ابن باز و تحدث عن الملاحظات على الشيخ كما قالها أو رتبها كما وردت في المحاضرة ذهنياً ، و ذكر بعض الملاحظات الدقيقة العلمية ، فشهد جميع الحضور من المتخصصين ، و الشيخ الألباني أن الشيخ ابن باز متمكن في هذا الفن ، علم الحديث.

و يقول بعض العلماء : لو أن الشيخ ابن باز تفرغ لعلم الحديث لفاق الألباني.

و الشيخ محمد الأمين الشنقيطي إذا قال عن كلمة في اللغة العربية أو بيت : (لا أعرفه) ، فلا تبحث عنه ؛ لحافظته . و الأحاديث التي يحفظها كثيرة بأسانيدها ، و هو يعجب كما قال ابنه الشيخ عبد الله بن محمد وفقه الله وحفظه ، يقول : أعجب جداً من حفظ الشيخ ابن باز . و يقول : كنت أبحث عن حديث لم أجده في السنة ، فلما قابلت الشيخ ابن باز سألته ، فقال : هذا في سنن أبي داود ، و أخبره أين موضع الحديث ، في أي باب.

و بعض الأحاديث تذكر للشيخ ابن باز ، فيذكر رحمه الله أن هذا الحديث مذكور في حاشية سنن النسائي ، قالوا : يا شيخ متى قرئ عليك هذا الكتاب ؟

قال : قرئ علي في أول الطبعات ، طبعة بولاق ، و الطبعات الأميرية و المصرية القديمة كان لها بعض الحواشي لما كان قاضياً في الخرج. فكان بين القراءة و بين السؤال عنه قرابة الخمسين سنة ، فهذا حتى نعرف شيئاً من أخبار هؤلاء العلماء.

و رتب الشيخ محاضرة أسبوعية ، و انتدب بعض العلماء و طلبة العلم للتدريس خارج البلاد في الإجازات ، فالمشايخ ينتهون من التدريس في الجامعة ، و ينتدبهم مباشرة لشتى البلاد.

و لذا نرى التأثير البالغ في شخصية الشيخ ابن باز ، و أنه إداري ناجح كأنه درس علم الإدارة ، هذا يقوله الشيخ العبودي ، و هو نائبه في الجامعة ، و هو رئيس رابطة العالم الإسلامي في بعض الفترات ، و قد قابل الكثير ، و خالط الكثير ، فقال هذا عن علم ، قال : إداري ناجح ، يخالط الطلاب ، و يأتي إلى مسكنهم ، و أي طالب مستجد يستضيفه و يحثه على طلب العلم ، و يقول : إذا نقصك مال أعطيك .كل طالب . كما قال عنه الشيخ أبو الحسن الندوي في بعض مذكراته يتعجب من هذا الرجل ، أي : الشيخ بن باز رحمه الله ، و هو من أسباب نجاح الجامعة الإسلامية في انطلاقتها.

يقول : يخالط الطلاب ، يسمح بالأنشطة الطلابية ، يخرج رحلة ربما أسبوعية مع طلاب الجامعة ، أسبوعية على انشغال الشيخ ، يخرج

معهم ، و كان الشيخ حينها قد قارب الستين ، يخرج مع الطلاب ، و في مسجد الجامعة يأمر الطلاب أن يلقوا الكلمات ، ثم يعقب الشيخ على كلمة الطالب ، و يعطيه بعض الملاحظات والتوجيهات ، حتى أصبحت الجامعة أسرة واحدة ، و مصداق هذا لما أراد الشيخ الانطلاق بعد الوداع للجامعة الإسلامية و طلابها ، فكان حفل بكاء لما أراد أن يودع الطلاب ؛ لأنه دخل في قلب كل طالب ، و المشايخ و العلماء ، و الزائرين ، و كل من مر بالمدينة ينظر إلى هذا المعلم العجيب الجامعة الإسلامية.

و لو رجعتم لمذكرات الشيخ محمد المجذوب (علماء ومفكرون عرفتهم) ، و هو عالم شامي درس في الجامعة الإسلامية ، و الصورة منتشرة مع الملك فيصل رحمه الله ، و معهم الشيخ ابن باز ، و بعض العلماء ، و الشيخ محمد المجذوب ، بعض الناس يقولون أنه هو الألباني. لا ، هو الشيخ محمد المجذوب ، من طريقته أنه كان يكتب للمشايخ كل شيخ ما يقول ، حتى يعطيه بعض الأسئلة عن نشأة الشيخ ، نفس الحوارات أو اللقاءات الخاصة المفتوحة ببعض العلماء ، يكتب لهم رسالة ثم يردون له الجواب فيخرجه في كتاب اسماه (علماء ومفكرون عرفتهم).

الشيخ الألباني يقول : ما حرصت على الخروج من بلاد الشام و ترك

الطلاب و الدعوة التي قامت في بلاد الشام قرية قرية ، ما حرصت على الانتقال للمدينة ، إلا لأجل وجود الشيخ ابن باز رحمه الله ، رحمهم الله جميعاً.

و لذا ، فإن الشيخ الألباني أوقف مكتبته كاملة على الجامعة الإسلامية وفاءً لها ، و حباً فيها ، هذه بعض أخبار الشيخ ابن باز في الجامعة الإسلامية.

كتب عن المدينة

أذكر بعض الكتب لمن أراد الزيادة :

التراويح أكثر من مائة عام في مسجد النبي ﷺ للشيخ عطية سالم، الطريق إلى المدينة كتيب للشيخ أبو الحسن الندوي ، من بريدة إلى المدينة كتيب للشيخ العبودي في زيارته للمسجد النبوي ، كتّاب الرحلات الذين يأتون للحج و للحجاز للعبادة أو النسك أو الزيارة أو التجارة ، أو يكونون مثلاً من القناصل و المسئولين ، و لهم ارتباطات بالسفارات ، و أدباء ، أو زيارات ، أو مؤتمرات ، يكتبون بعض الرحلات ، و أمتع كتب الرحلات هي كتب الرحلات المغربية فهم أهل الكتابة.

و كذلك رحلة الحج للشيخ محمد أمين الشنقيطي ، هذا مثال لواحد أو

نموذج للرحلات المغربية ، و هو يعد من المغاربة ، رحلته و ما مر به من غرائب في طريقه إلى أن وصل للحج ، حتى كتب الرحلات يذكرون ما في المدينة من أشجار و ثمار ، و المسجد النبوي ، و الوصف الدقيق ، بعضهم وصفه كما يقول الشيخ علي الطنطاوي رحمه الله عن نفسه يقول : ذاكرتي تصويرية .

هو يقول ذلك عن نفسه ، و لذلك ألف الذكريات و عمره فوق الستين ، هذه الذكريات الموجودة الآن من الذاكرة ، و هو كان قد ندم رحمه الله أن لم يكتبها أيام الشباب.

و مثله أيضًا الشيخ الألباني يقول : لو كنت أكتب ما مر بي من مواقف و تاريخ ، لأتيت بالعجب ؛ لما يمر بهم . مثال : ورقة ضائعة كان يبحث عنها الشيخ ابن باز ، ورقة ضائعة من كتب الحديث من مخطوط نادر لا يوجد ، فتصفح المكتبة الظاهرية في الشام فرج الله عنهم جميعاً ، تصفح عشرة آلاف مخطوط ، حتى يبحث عن ورقة واحدة ، فصار مشروع السنة صحيح الجامع و غيره ، جميع مشاريع الشيخ انطلقت من ورقة ضائعة.

و كنت مرة بمناسبة هذه أبحث عن ورقة لهذا الموقف أو هذه القصة في محاضرة لي اسمها علو الهمة فالورقة الضائعة عندي في المحاضرة لأنها رؤوس أقلام ، هي القصة التي عن الشيخ في تلك الورقة الضائعة ، و

هذه من الموافقات رحم الله الشيخ.

الشيخ محمد سعيد الدفتر دار

الشيخ محمد سعيد الدفتر دار ، إمام المسجد النبوي ، له كتاب اسمه (أعلام المدينة) ، و عدد من هذه الكتب لم أقف عليها ، إنما آخذ المواقف من كتب رافضة ، أو من سماعات أحياناً.

الشيخ محمد هاشم الفوتي

الملقب ألفا هاشم ، و هو من العلماء الكبار في المسجد النبوي ، ممن أيد العلماء في إزالة الأضرحة على البقيع عام ١٣٤٤هـ ، درس الشيخ في المسجد النبوي ، عُرف بقوة حفظه و ذاكرته ، يذكر الجزء و الصفحة لأي سائل ، توفي ١٣٤٩هـ ، و في يوم وفاته جاءه اثنان من طلابه من ينبع فسألاه عن مسألة ، فقال لأحد الحضور عنده : افتح الكتاب الفلاني ، الجزء و الصفحة ، تجد الجواب ، فلما فتح لهم و قرأوا ، وجدوا الجواب ؛ و قرأ عليهم لأن الشيخ ليس به نشاط رحمه الله فقرأ عليهم الخادم أو التلميذ ، فلما وضع الكتاب و خرجا لحق بهما فقال : أن الشيخ قد مات . و هذا يذكرنا بموقف الإمام أبو حنيفة لما جاءه بعض تلاميذه يزورونه في سكرات الموت رحمه الله ، فالإمام أبو حنيفة قال لتلميذه أبو يوسف : ما الأفضل ، أن يرمي الحاج الجمرة راكباً أو

ماشيًا ؟

قال: راكباً ، قال : خطأ ، ثم قال التلميذ : ماشياً ، قال : خطأ . قال : أما بالنسبة لجمرة العقبة فيرميها راكباً ، و أما الجمرة الصغرى و الوسطى فماشياً ، هذا كلام الإمام أبي حنيفة لتلميذه أبي يوسف ، فلما خرج سمع الصياح بالدار أن الشيخ قد مات رحمه الله.

هم الرجال وعجز أن يقال لمن   لم يتصف بمعالي وصفهم رجل

الشيخ حسن الشاعر

الشيخ حسن الشاعر ، والد وزير الإعلام الأسبق علي بن حسن الشاعر ، و الشيخ حسن الشاعر من المعمرين عاش من ١٢٩٠هـ ، ومات عام ١٤٠٠هـ ، فعاش عشر سنوات بعد المائة ، و هو متمتع بصحته و ذاكرته ، و هو من المقرئين الكبار ، بل شيخ القراء في المسجد النبوي ، عضو رابطة علماء المدينة ، تلقى القراءات السبع ، ثم العشر ، ثم الأربعة عشر .

و لما جاء الشيخ ابن صالح قاضياً في المدينة ، ثم رشح للإمامة كأن بعض الناس قالوا للشيخ : لو قرأت على أحد العلماء القراءات و أجازك بالقراءة ، فقرأ على الشيخ حسن الشاعر رحمه الله.

الشيخ عبد الله هاشم اليماني

الشيخ عبدالله اليماني محقق للكتب من أهل المدينة ، و المهتمون بتحقيق

الكتب الحديثية يجدون اسمه في هذه الكتب ، تعلم على يد جده مذهب أبي حنيفة ، و عمل في التجارة والتحقيق ، فحقق التلخيص الحبير لابن حجر ، و تعجيل المنفعة لابن حجر ، و الدراية لابن حجر ، و حقق سنن الدارمي ، و حقق المنتقى لابن الجارود ، و هذه الكتب عمد عند أهل الحديث.

الشيخ عبد الفتاح المرصفي

أحد القراء من علماء مصر ، و هو عضو اللجنة في مجمع الملك فهد لطباعة المصحف ، توفي الشيخ رحمه الله ١٤٠٩ هـ ، أتاه أحد الطلاب من الإمارات ، فقال : يا شيخ ، لا يوجد في الإمارات شخص عنده القراءات يجيز ، فهل تأذن لي يا شيخ أن أقرأ عليك ؟

فكان عدد الطلاب كبير ، و ازدحموا على الشيخ ، فاستأذن الطلاب ، قالوا : لا بأس ، يدخل بيننا ، و له فسحة من الوقت ، فيقرأ . و أهل الإجازات يعرفون كم تأخذ الإجازة على الطالب في الضبط و الإتقان و القراءة ، مع الأبيات المشترطة حفظاً قبل ذلك أو في أثنائها ، فقرأ على الشيخ الختمة ، حتى وصل إلى قول الله ﷻ : ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ [الملك:١٢] ، و قد استضافه الشيخ جزاه الله خيراً ليقرأ ، لكن تأخر و لم يقرأ ، و يمكنه أن يختم بعد ذلك.

فالشيخ رحمه الله لما قرأ عليه تلميذه : ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ مات الشيخ عبد الفتاح أثناء قراءة الطالب عليه.

الشيخ عبيد الله الأفغاني

أحد القراء الكبار أيضاً ، أتى ماشياً مهاجراً من أفغانستان إلى المملكة مشياً ، مروراً بإيران ، ثم العراق ، فالخليج ، ثم مكة.

عمل عشرين سنة خياطاً في الرياض ، و لا يعرف للأسف. و قد يوجد في بعض البلاد علماء و أكابر و حفاظ ، لكن لم يأتوا لبلادنا ، و هذه دعوة لبعض الناس أن يبحثوا عن هؤلاء المميزين و المبدعين ممن أتوا بفيزا عامل ، لكنه من الحفاظ .

فالشيخ كان خياطًا عشرين سنة ، ثم تيسر له التدريس مدرس قرآن ، و ليس إجازات ، و لا قراءات ، مع أنه أتى من بلده عاملاً. فكان يذهب لأبها في الصيف ، يقرأ عليه صغار الطلاب ، حتى عرفه بعض المشايخ و قرأوا عليه ، ثم اشتهر أمره رحمه الله ، و أتى للمسجد النبوي في آخر حياته للجامعة الإسلامية ، و كان على كبر سنه في آخر وقته . و يخبرني من حضر محاضرة للشيخ سعيد بن مسفر في مسجد الخيف في الحج ، فيقول : كنا في أثناء المحاضرة ، فكان من بين الحضور شخص ناداه الشيخ : تعال يا شيخ ، فلما قرب من الشيخ قبل رأسه ، و أجلسه

بجانبه ، و قال : هذا شيخي الشيخ عبيد الله الأفغاني. فالشيخ عبيد الله رحمه الله بقي في المدينة رغبة فيها ، لا عنها ، و درس القرآن ، و جميع وقته مستوعب لتدريس القرآن في مسجده مسجد أبي بكر الصديق ، و في المسجد النبوي. و لما بدأ بالتدريس ، قالوا : يا شيخ ، لو أنك تبحث عن موافقة أو إذن ، فدرّس حتى مُنع.

و كان قد رأى رؤيا : أنه يريد أن يدخل المسجد النبوي ، فرأى فيه شخص من أصحابه في أفغانستان لما كان شاباً ، أنه يريد دخول المسجد النبوي ، و أن رجال الأمن يمنعونه ، فعبرت له في وقتها أنها خير إن شاء الله.

فلما جاء و درس منع ، فأحد تلاميذه في أبها ، وسمّاه ، و هو من المسئولين في الجامعة الإسلامية عرّف به الشيخ علي الحذيفي حفظه الله ، فقال : يا شيخ ، هذا أحد العلماء بين أيدينا ، و عنده إجازات ، قال : خلاص نتواعد مع الشيخ ، و نلتقي بالشيخ عبد العزيز الفالح ، فذهبوا ، فلما رأى بعض إجازاته وبعض أوراقه قال : خلاص ، هذا الشخص لا يُمنع أبداً ، فدرّس رحمه الله .

ومن حضر عند الشيخ و أدركه ، يجد فيه طرفة و دعابة ، و تعليق على الطلاب ، و كان في أبها يحجز الطلاب عنده ، كما أخبرني من قرأ عليه ، يحجزون عنده قبل الفجر بساعتين ؛ لأنه من لم يأتِ مبكراً للقراءة

يفوته ، و ربما يأتي موعد العمل ، و ينتصف الصباح ، و هو لم يأته الدور .

متفرقات عن علماء المدينة

الشيخ محمد بن علي بن تركي ولد ١٣٠٠ هـ وتوفي ١٣٨٠هـ ، هذا من علماء عنيزة ، و هو من أقران الشيخ عبد الرحمن السعدي ، شيخ الشيخ بن عثيمين العالم المشهور رحمهم الله.

الشيخ لم يُدرس في المساجد الثلاثة فيما أعلم في هذا العصر في مكة ، المدينة ، و بيت المقدس ، إلا الشيخ محمد بن علي بن تركي رحمه الله . فقد درس في المسجد الحرام ، و المسجد النبوي ، ثم ذهب لبيت المقدس ، و المسئول عن دروس المسجد النبوي الشيخ محمد أمين الحسيني ، مسئول الدروس والعلماء في بيت المقدس وله ترجمة معروفة من علماء الشام ، يقول : لم يمر في بيت المقدس في هذا العصر بعد الشيخ محمد عبده العالم المصري أعلم الشيخ محمد بن تركي في هذا الكرسي في بيت المقدس.

و الشيخ محمد بن تركي رحمه الله قرين الشيخ ابن سعدي ، و كان الشيخ ابن سعدي إذا أراد أن يتدارس الفقه يذهب لبيت الشيخ ابن تركي ، أو هو يأتي عنده فيتدارسان الفقه.

و قد سافر إلى الشيخ ابن بدران ، أحد علماء الحنابلة في دوما في الشام ،

فقرأ عليه ، ثم سافر الشيخ للهند تاجراً ، وطالب علم ، و قرأ على علماء الحديث ، و قبل أن يبدأ بالتدريس يذكر الأديب محمد حسين زيدان رحمه الله في كتابه (رجال ومواقف) بعض سير العلماء الذين أدركهم في المسجد النبوي ، و منهم الشيخ محمد بن علي بن تركي ، فقال : كان يتأنق و يلبس من أفخر المشالح ، و كان يمر على دروس المشايخ درساً درساً ، يجلس عندهم قبل أن يؤذن له بالتدريس ؛ لأنه أتى للمدينة و هو عالم. و يقول : لما بدأ يدرس ، بدأ يلبس البشت العادي جداً ، حتى أنه كان يلبس من أقل أنواع البشوت ؛ زهداً في الدنيا رحمه الله . فدرس في المسجد النبوي ، و في المسجد الحرام ، و جلس للتدريس في المسجد النبوي عام ١٣٥٠هـ .

طلب الشيخ محمد بن إبراهيم منه التدريس في معهد الرياض فامتنع ، و فرق جميع ما يملك ، جميع ثروته على العلم تحصيلاً و بذلاً على الطلاب ، و كان في درسه يحب ذكر الألغاز الفقهية ، و كلما وجد سآمة أو مللاً من الطلاب أعطاهم لغزاً فقهياً .

نشأ الشيخ يتيماً ، و لما بلغ الرابعة عشرة ذهب لمكة و جدة لنقل البضائع ، هذا لما كان صغيراً دون العشرين.

و في أيام الشريف حسين صلى الشيخ مأموماً ، قبل أن يدرس في المسجد النبوي ، فسمع خطيب المسجد النبوي يقول : يجب علينا شد

الرحل ، أو أنه كان يحث الناس على شد الرحل لزيارة قبر النبي ﷺ ويثبت ذلك بالأدلة ، فقام الشيخ بعد الصلاة ، بعد الخطبة في المسجد فقال : كذبت ، لم يقل النبي ﷺ ذلك ، و لم يحث عليه . فالحمد لله أخذ قول الشيخ بالقبول ، و إلا كان سينتشر بين الناس أن خطيب المسجد النبوي يحث الناس على شد الرحل لزيارة قبر النبي ﷺ.

الشيخ محمد المختار الشنقيطي

والد العالم الموجود الآن محمد بن محمد المختار الشنقيطي ، و لا يقل شهرة وعلماً عن الشيخ محمد الأمين الشنقيطي ، لكن الشهرة للشيخ الأمين .

الشيخ محمد المختار الشنقيطي كان مدرساً في الجامعة الإسلامية عند مقدمه . و لما كان يطلب العلم في موريتانيا قطع ألف كيلو متر مشياً على قدميه لطلب العلم ، و أول ما وصل للمدينة ذهب للحج ماشياً. هذا والد الشيخ محمد المختار ، و ما تجدونه من جلد في العلم و التعليم و الطلب ، و الزهد في الشيخ محمد المختار ، إنما هو تأثرٌ بوالده.

جاء الشيخ لهذه البلاد و هو عالم ، لكنه بدأ يلازم دروس المشايخ يحضر عندهم ، و كان فترة من الفترات في الرياض ، و حضر عند الشيخ محمد بن إبراهيم ، ثم حصّل الإجازات في علم الحديث ، ثم درس في المسجد النبوي آخر عمره ، بعد كل فرض درس أو فن من

الفنون . و هو موسوعة في كل فن ، كما ذكر عنه من يعرفه الشيخ محمد المجذوب ، و بعض من ترجم له ، و ابنه الشيخ محمد كذلك.

أما برنامجه اليومي فذكره ابنه الشيخ محمد ، لكن من برنامجه اليومي : أنه يقوم قبل الفجر بساعتين ساعة قيام ، وإذا أذن الأذان الأول يقرأ فقط في تفسير القرطبي و تفسير ابن جرير ، ثم إذا أذن أذان الفجر الثاني نزل إلى المسجد النبوي ثم درس.

و في آخر عمره أصيب بحساسية في الجلد ، فمنعه الأطباء من الخروج في الشمس بأي حال ، فكان يتألم و يتأثر إذا سمع النداء ، و يقول : كيف ينادى للصلاة في مسجد النبي ﷺ ، و لا أحضر!

فكان لا يخرج إلا في الليل ، أما في رمضان فمع شدة الحساسية على جلده ما كان يترك الصلاة أبداً في المسجد النبوي.

و في رمضان برنامج ثاني . هذه بعض ذكرياته و أخباره .

كان يذهب كل يوم مرتين لمزرعته ، و كان قد بذل المال الكثير لحفر بئر في مزرعته ، فكانت المؤسسة التي بدأت بالحفر قد جاء مسؤوليها عند الشيخ ، فقالوا : يا شيخ ، أنت عالم ، و مؤمن بالقضاء و القدر ، لما حفرنا لم نجد ماء أبداً . فالله يعوض عليك في المال.

قال : و الله لو ذهب جميع مالي و جميع مزرعتي و أبنائي فإني راض عن الله . فالأمر عادي عنده ، فهو راض عن الله رحمه الله.

و قد حضرت مرة ، أو تغديت مع الشيخ محمد المختار في بيتهم ، بيت والده القديم الموجود عند مكتبة الملك عبد العزيز ، و ما زال البيت موجود ، و رأيت مكتبة والده الشيخ محمد المختار ، صغيرة جداً و قليلة ، لكنها محفوظة. يقولون في ترجمته : حفظ من دواوين الشعر عشرة آلاف بيت فقط . هذه من محفوظاته.

الشيخ عبدالعزيز بن صالح

تولى الإمامة خمسين سنة في المسجد النبوي ، مع التدريس و القضاء في المحكمة ، ثم الانتقال لرئاسة المحكمة.

الشيخ ولد عام ١٣٢٩هـ و توفى ١٤١٥هـ ، نشأ الشيخ يتيماً ، قد رباه أخوه عثمان ، و تتلمذ على عدد من علماء الرياض ، و علماء المجمعة ، ثم انتقل من المجمعة إلى الرياض قاضياً فيها ، ثم اختاره الشيخ عبد الله بن عبد الوهاب بن زاحم ، شيخه ، أن يكون مرافقاً له للمدينة ، يتتلمذ عليه ، و رشحه للقضاء ، و قرأ الشيخ ابن صالح على الشيخ حسن الشاعر ، و عين إماماً للمسجد النبوي عام ١٣٦٧هـ ، و كان مساعداً للشيخ صالح الزغيبي رحمه الله ، و الشيخ صالح الزغيبي كان حريصًا على إمامة المسجد النبوي ، و كان لا يغيب ، فاستمر إماماً أكثر من عشرين سنة ، و لا يعرف عنه الغياب أبداً ، و استمر مدة

طويلة هو الإمام الوحيد .

كان قد خرج مرة للبس حذائه يريد صلاة الفجر ، فكانت في حذائه عقرب لدغته ، فتحامل على نفسه فذهب ، و صلى بالناس وبعد الصلاة أخبر من معه فأسعفوه.

كما أرادوا أن يختبروه في الحرص على الإمامة ، فاستضافه أحد وجهاء المدينة ، ربما أحد الأمراء ، فتعمد تأخير الغداء إلى قرب العصر ، يقول: حتى نشوف كيف تصرف الشيخ!

و الآن هو إمام المسجد النبوي ، و المكان بعيد. فقال للمرافقين معه ، أو المهتمين بأمر الغداء ، اتركوا الغداء قرب الأذان ، لو أراد الشيخ أن يتغدى و يمشي ممكن يذهبون به ، لكن الشيخ استأذن منهم كأنه يريد قضاء الحاجة ، فخرج و ترك حذائه عندهم ، و ذهب مشياً أو أقرب إلى الركض ، ذهب إلى المسجد النبوي فرآه الناس وقت الإقامة في المحراب . هذا من حرص الشيخ صالح الزغيبي رحمه الله ، فلما تقدمت به السن رشح الشيخ ابن صالح للإمامة.

كان الشيخ ابن صالح رحمه الله محبوباً لدى الخاصة و العام ؛ لإحسانه و تواضعه ، وخدمته للناس . و قد انتدبه الملك فيصل لعدة بلاد في أفريقيا و غيرها للخطابة و الإمامة ، فذهب وأثر بهم تأثيراً ليس بالهين.

و ترجمته ، أو تفاصيل الرحلة موجودة لبعض مرافقي الشيخ.

قال تلميذه القاضي الشيخ حمد الحربي ، وقد كان قاضياً معه عدة سنوات ، و سكرتيراً خاصاً له سبع سنوات ، يقول : كان يعطيني الشيخ أموالاً بمئات الألوف –هذا الشيخ ابن صالح– و يصر علي أنها خاصة بالأيتام ، و ألا تخبر أحداً .

لم يصلِّ ، أو لم يرضَ بأن يأخذ الراتب على الإمامة فالمسئول عن الرئاسة أو شئون المسجد النبوي خاطب المالية ، فقالوا: نزيد الشيخ ثلاثة آلاف للإمام ما تكفيه ، نزيد للشيخ إلى سبعة آلاف. قال : لا هذه ولا تلك ، لا ثلاثة ، و لا سبعة ، أنا أصلي لله. فاستمر الشيخ طيلة حياته يصلي في المسجد النبوي بلا مقابل.

و كذلك إشرافه على الدروس ، و أما تلاوته فكانت محل ثناء عند عدد من أهل العلم ، كالشيخ عطية سالم ، و الشيخ عبد العزيز قارئ ، و الشيخ عبد الفتاح القاضي ، و كان الشيخ عبد الفتاح القاضي يتمنى أن يصلي خلفه.

مرة كان الشيخ عبد الفتاح قارئ ، والد الشيخ عبد العزيز ، قد رجع من المسجد النبوي ، فقال : يا شيخ عبد الفتاح ، يقصد عبد الفتاح القاري ، يقول عبد الفتاح القاضي ، و كلاهما من علماء القراءات ، يقول : لو أنك صليت معنا الفجر اليوم ، كأن هذا الرجل يقرأ من الجنة سورة الرحمن ، كان الشيخ عبد الفتاح القاضي مريض ، فلما

أقيمت صلاة الفجر ، فتح النافذة ، و كان في قلبه يتمنى أن يقرأ الشيخ سورة الرحمن فقرأها ، وهو كثيراً ما يقرأها الشيخ في صلاة الفجر فجر العيد.

فالشيخ عبد الفتاح القاضي وقف عند النافذة ، و يستمع لتلاوة الشيخ حتى بدأ يبكى فسقط على الأرض فجاء أولاده نبهوه ، خافوا علي الشيخ أنه قد أصيب بشيء ، قال : صدق الشيخ عبد الفتاح ، أنه كأنه يقرأ من الجنة . و هذه قالها الشيخ عبد العزيز القارئ في كلام عنه رحمه الله.

و الشيخ له عناية خاصة بالطيب ، فإذا مر بمجلس ، أو بمكان ، أو بطريق عرفوا أن الشيخ كان هنا ، رحمه الله .

مجالسهم مثل الرياض أنيقة لقد طاب منها الريح واللون والطعم

قال عنه الشيخ علي الطنطاوي ، و الشيخ علي الطنطاوي يقول : أنا أحيي من يعذرني ، لعدم دعوته يقصد للمجالس ، ما يحب الرسميات. هو حرس بيته ، دائماً في البيت ، و يقرأ يومياً ، يقرأ مائة صفحة ، كما يقول عن نفسه : طيلة ستين سنة ، يقول : و لكم أن تحسبوا كم اقرأ ، وأحياناً يمر به يوم يقرأ ٣٠٠ صفحة . هذا علي الطنطاوي يتكلم عن نفسه ، و لا أي شخصية تعجبه ، هو لا ينقد الآخرين ، لكن الذين يستجيب لهم لدعوتهم قلة.

محمد نصيف ، وجيه من وجهاء جدة ، عالم وجيه . دعا ة الملك سعود ، و لما جاء في وفد مع مشايخ الشام للحج ، وجاء عند الشيخ ابن صالح في مجلسه ، فقال : إن علي الطنطاوي يقول عن ابن صالح : هو حاكم لم يتوج. و أهل المدينة يعرفون هذا الأمر عن الشيخ رحمه الله ، بل يقولون : هو مدير الدوائر الحكومية ، مدير جميع المدراء ، فهو يتابع كل شيء في المدينة ، و إذا أمر بالشيء ، لا يناقضه أمير المدينة ، و لا الحكومة.

و ما طلب الشيخ ، أو ما ذكر الشيخ رحمه الله فيقبل ، و منها توليته لبعض الأئمة ، بدون رجوع للديوان ، و لا للرئاسة ، و لا شيء من ذلك ، فهو الديوان ، و هو الرئاسة.

الشيخ محمد أيوب لما ثقل الشيخ ابن صالح رحمه الله و ضعف عن الإمامة رشح الشيخ محمد أيوب للإمامة ، و كان قد رشح الشيخ محمد أيوب للإمامة في قباء الشيخ عبد العزيز القارئ كما هو معروف. فهو حاكم لم يتوج. و الشيخ أيضاً هو الذي رشح الشيخ عبد الباري الثبيتي.

يستقبل الناس يومياً في منزله العصر و المغرب ، و بعد العشاء يتعشون معه كل يوم. ثم إن جلسة العصر قد ألغاها الشيخ لما كثرت مشاغله .

وقت الختمة ، يحرص الناس على شهودها للخشوع ، و الصدق و التأثير ، ثم انقطع سنوات عن الإمامة ، ثم عاد فصلي بالناس آخر ليلة من وتر ١٤١٣هـ ، فتأثر الناس ، و كثر بكائهم ، لما تذكروا من تلك الأيام ، كما قال البرزالي رحمه الله ، لما كان يجلس بجانب ابن تيمية ، يقول : فما أطيب تلك الأيام ليتها أنها كانت طالت .

فتذكر الناس ذلك الصوت ، و ذلك الخشوع منه رحمه الله . هذه بعض أخبارهم ، إضاءات و إلماحات لأخبار المدينة وصلى الله وسلم و بارك على نبينا محمد.